Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قرن، طواه النسيان وشوهته الذاكرة؟ وهل هو رغبة ذاتية لتجاهل الحاضر؟كيف يعيش الشيخ، في انقطاع عن واقع؟ في عزلة «صوفية»؟ أيعبد الماضي ويقدسه، أيجافي الحاضر ويخاصمه؟ أبه سقم ويعتري وجدانه الكدر؟ ثم: هل بينه وبين ذكرياته مسافة زمنية فقط، أم وجدانية أيضا؟ هل يصوغ ذكرياته الماضية مجددا، أم يستذكر ماضيه الزائل، وماالذي يجعل شبابه في شيخوخته حاضرا ؟(1).

تختلف الأسئلة، وفي اختلافها، كما سنرى، درجات تمس التاريخ (الماضي/الحاضر) والمجال (الفعل /القول) والذات (الشباب /الشيخوخة). وهو ما سنحاول الإلمام به تدريجيا.

التاريخ

يخبرنا محمد الجزولي أنه عمد في (ذكريات من ربيع الحياة) إلي استذكار «ما كنت نظمته منذ حوالي خمسين سنة خلت من قصائد وقطع شعرية... استدعتها أحداث ومناسبات، وكان ذلك بين أبريل 1919 وأبريل 1923» (ص3). والمدة هذه (أربع سنوات) هي الفترة الزمنية التي قضاها في سلك الوظيف (القضاء ؟)، غير أنه، كما يضيف، انفصل عنه، فانقطع ما بينه وبين النظم من اتصال، بحيث قذفته «أمواج الاكتساب إلي ما وراء هاتيك الأبواب، والحياة حظوظ، وللضرورة أحكام» (ص 3).

لا يجب أن نستخلص من هذا، أن أيام الشعر في حياة الجزولي كانت هي أيام الوظيف، وأن الانقطاع عن هذا يستدعي انقطاعا في نظم القول. تلك ظاهرة تستحق الدرس، غير أن مايحير في الأمر هو: لماذا استعاد الجزولي، بعد انقطاع طويل «حياة» شعره وحياة شبابه؟. ثم ألا يعد هذا أسلوبا في إحياء القول المنظوم ويمثل طريقة جديدة في النظم المعاد؟ خصوصا وأن المدة الزمنية الفاصلة بين القول وعدمه تقارب نصف قرن. ولهذا سنكتفي بالقول: إن الحنين، وهو مفتاح مستوى التاريخ هنا، أسلوب نظمي يصوغ الذكريات بدل الشعر، وما الانقطاع الذي شهد به الجزولي على نفسه سوى استمرار صامت في القول.

المجال

ومما يؤكد هذا أن محمد الجزولي أقر، بصورة واضحة، بأنه عندما راجع «كلماته» (شعره) «استعذبتها واستملحتها، ووجدتها لا زالت تضج طراوة وغضاضة» (ص4)، ويكاد الزمن الفاصل بين الماضي والحاضر أن ينمحي بهذا الكلام، أو لا يعود للإنقطاع

---

1 ـ الحنين : حن حنينا، صوت لا سيما عن طرب أو حزن. حن حنينا إليه : اشتاق. تحان : اشتاق. استحن الشوق فلانا : استذر به. الحنان : من يحن إلى الشيء. حن حنة وحنانا عليه : عطف وشفق وترحم فهو حنون . تحنن إليه : ترحم، الحنان : الرحمة